الوثيقة

دورية تاريخية محكمة يصدرها
مركز الوثائق التاريخية بمملكة البحرين
العدد الخامس والخمسون - السنة الثامنة والعشرون
المحرم 1430هـ - يناير 2009م

محمد بن سعيد بن علي بن حميد

وجهوده من أجل خدمة الدين واللغة العربية

لاشك أن تراث الشعوب هو الذي أملى تاريخها عبر العصور الخالية، فمن ذلك التراث ما يحكي تاريخ الأمم كالآثار والنقوش والمخطوطات والمسكوكات وكل ما يتعلق بحياة الإنسان ومنها ما تناقله الخلف عن السلف من أساطير وقصص وأمثال وأنواع المعارف والعلوم وما قدمه الأفراد والجماعات من إضافات للفكر البشري . وقد ساهمت الأمم في بناء صرح الثقافة البشرية العتيد، والأمة العربية والإسلامية لها نصيب في ذلك البناء، فخلفت تراثاً خالداً تشهد آثاره البادية للعيان على ذلك، ففي كل بلد عربي، وكل بلد وطئته أقدام المسلمين يرى الباحث آثار ذلك التراث، والبحرين واحد منها حيث ضم ثراه الكثير من الآثار، واحتضنت أرضه تراثاً يقص علينا سير الماضين ويروي أخبارهم ويبرهن على مدى مساهمتهم في الفنون والتجارة والصناعة والعمارة وفوق أرضه الكتب المخطوطة في شتى فروع المعرفة من العلوم والآداب والفنون، ووثائق فيها الكثير من الأخبار التي تعكس العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وسوف نعرض لبعض من ساهموا في نشر العلم والمعرفة ومنهم "الشيخ محمد بن سعد بن علي بن حمود" من أعلام القرن الثالث عشر الهجري . ذلك القرن الذي أقبل فيه طائفة من العلماء على طلب العلم وتعليمه علوم الدين واللغة العربية والتصوف والفلسفة وعلم الكلام والشعر . ومنهم الشيخ عبد اللطيف الصحاف المالكي، وابنه إبراهيم، والشيخ راشد بن عيسى المالكي، وحسن بن يوسف الطيور، والشيخ عبد المحسن بن جابر الحنبلي، والشيخ محمود بن عبد الله آل محمود الشافعي، والشيخ قاسم بن مهزع . وجلهم تولوا القضاء في البحرين ومنهم من خلّف تراثاً علمياً وأدبياً سوف تظهره الأيام .

لقد ولي محمد بن سعد الإمامة لجامع المنامة الكبير، أو مسجد الفاضل في البحرين سنة ١٢٧٠هـ على ما أورده محمد بن علان الصديقي في مخطوطته الموسومة (الحظر والتحريم) . وكان كثير النسْخ والنقل . فقد كتب أكثر من خمسين كتاباً بقلمه فخلّف مكتبة احتلت حجرات داره المقابلة لمسجد الفاضل كما كان أبناؤه ممن تولوا القضاء والإمامة وألفوا ونسخوا . وكانت مدرسة الشيخ محمد بن سعد في مسجد المنامة في القرن الثالث عشر الهجري تحوي مقررات ثابتة ومتقدمة، حفظها أبناؤه من بعده خاصة وأن "إبراهيم بن محمد بن سعد" كان هو الآخر قد نسخ كتاباً أسماه (شرح الورقات)في سنة ١٢٩٧هـ . وله مختصر على متن الأجرومية بخطه . وساهم الشيخ "عبد اللطيف بن محمد بن سعد" بكتابه المسمى (الرحبية) للشنشوري نسخه سنة ١٣٢١هـ . وكتب "علي بن محمد بن سعد" كتاب (توضيح الأجرومية) .

أما مخطوط (أسنى المطالب في صلة الأقارب) لابن حجر الهيتمي نزيل مكة، فقد نسخه عبد الله بن علي بن محمد بن سعد سنة ١٢٨٤هـ ويقع في أكثر من ستمائة صفحة وقد ختمه بقوله :

كنت قد أيقنت يـوم كتبته يـدي تفنى ويبقى كتابهـا

لم تكن المخطوطات التي كتبها الشيخ محمد بن سعد في علوم الدين فحسب بل وفي اللغة العربية. قواعدها وعروضها . شعرها ونثرها، ثم في علم الطب والفلك وحساب المواريث . وكان يراسل عشرة من العلماء وهم يراسلونه، يسألونه وهو يجيب . ومن ذلك رسالة أرسلها الشيخ قاسم بن مهزع وجهها له وهو يطلب أن يرسل إليه كراسات علم ويرسل الفتاوى بتوقيعه إلى الشيخ جاسم المهزع مؤرخة في سنة ١٣٠٥هـ حول حكم القضاء في أمر امرأة تركها زوجها سنين عـددا فكان يجيبهم جـواب القاضي العالم بأحكام الشريعة .

ويبدو أن مدرسة بن سعد في مسجد المنامة في القرن الثالث عشر الهجري كانت تحوي مناهج ومقررات ثابتة تدل عليها مخطوطاتهم وقد أثبتوا عليها أقوالهم في كتاب مقرر ينبغي قراءته للصبيان عند ابتدائهم التعلم في علم النحو كما هو منسوخ بخط المؤلف الشيخ محمد بن سعد وهو (شرح مختصر جداً على متن الأجرومية) نسخه في ١٢٩٩هـ ويقع في ثمان وأربعين صفحة . ومثله (فتح القريب للأصفهـاني) وهـو من الكتب التي كانت مقـررة في القرن الماضي وقد جاء فيه :

لا تحزنن على الصبيان إن ضُربوا الضرب يفنى ويبقى العلم والأدب
لولا المعلـــم كان النـــاس كلهـــم مثـل البهـــائم لا علـــم ولا أدب

ويبدو أن الشيخ بن سعد بدأ في التأليف والنسخ منذ سنة ١٢٤٤هـ حين نسخ ديوان خطب منبرية . واستمر في الكتابة حتى عام ١٢٩٩هـ حيث كتب في الفرائض كتاباً يقع في ثمان وأربعين صفحة . وكان ينهي كتبه بقوله :

إن تـــجد عيبـــاً فســـد الخللا جـــل من لا عيب فيـــه وعـــلا

ورغم أن الشيخ بن سعد قد كتب أكثر من خمسين كتاباً بقلمه بما يزيد على تسعة آلاف صفحة في نحو مائة وثمانين ألف سطر أي بمعدل عشرين سطراً لكل صفحة فيكون ما دبجه حوالي ألف ألف وثمانمائة ألف كلمة أو مليون وثمانمائة ألف كلمة . إلا أننا لم نعثر على ترجمة حياته أو طرفاً من أحداث عصره أو ذكر عن مشايخه وتلامذته لا في القليل ولا من كثير . وربما فقدت بعض مؤلفاته أو سنعثر عليها في المستقبل إن شاء الله . توفي رحمه الله في سنة ١٣٠٧هـ في البحرين .

(أنظر : البحرين اليوم، ١٩٧٦م، ص١٨ ، من التراث القديم للدكتور علي أباحسين)

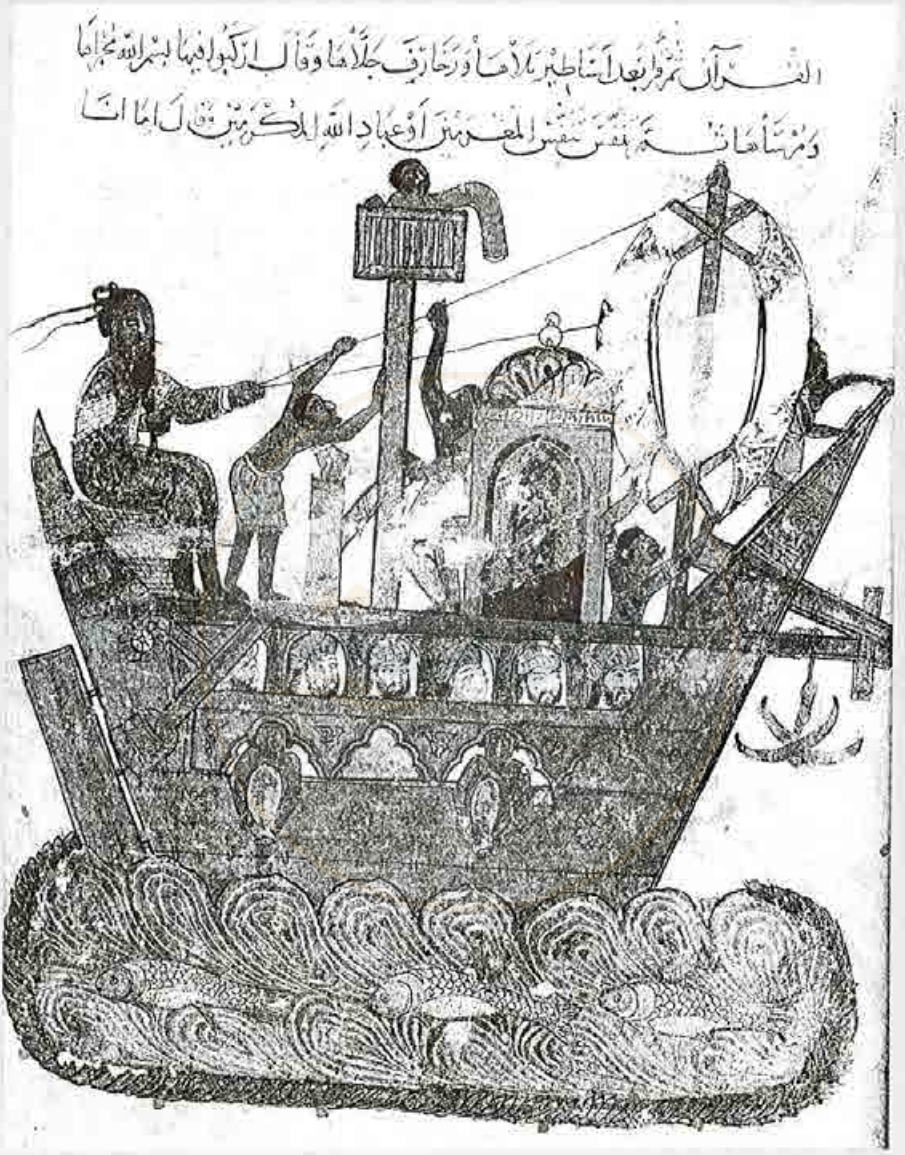

176 - AL WATHEEKAH

١٧٦ . الوثيقة

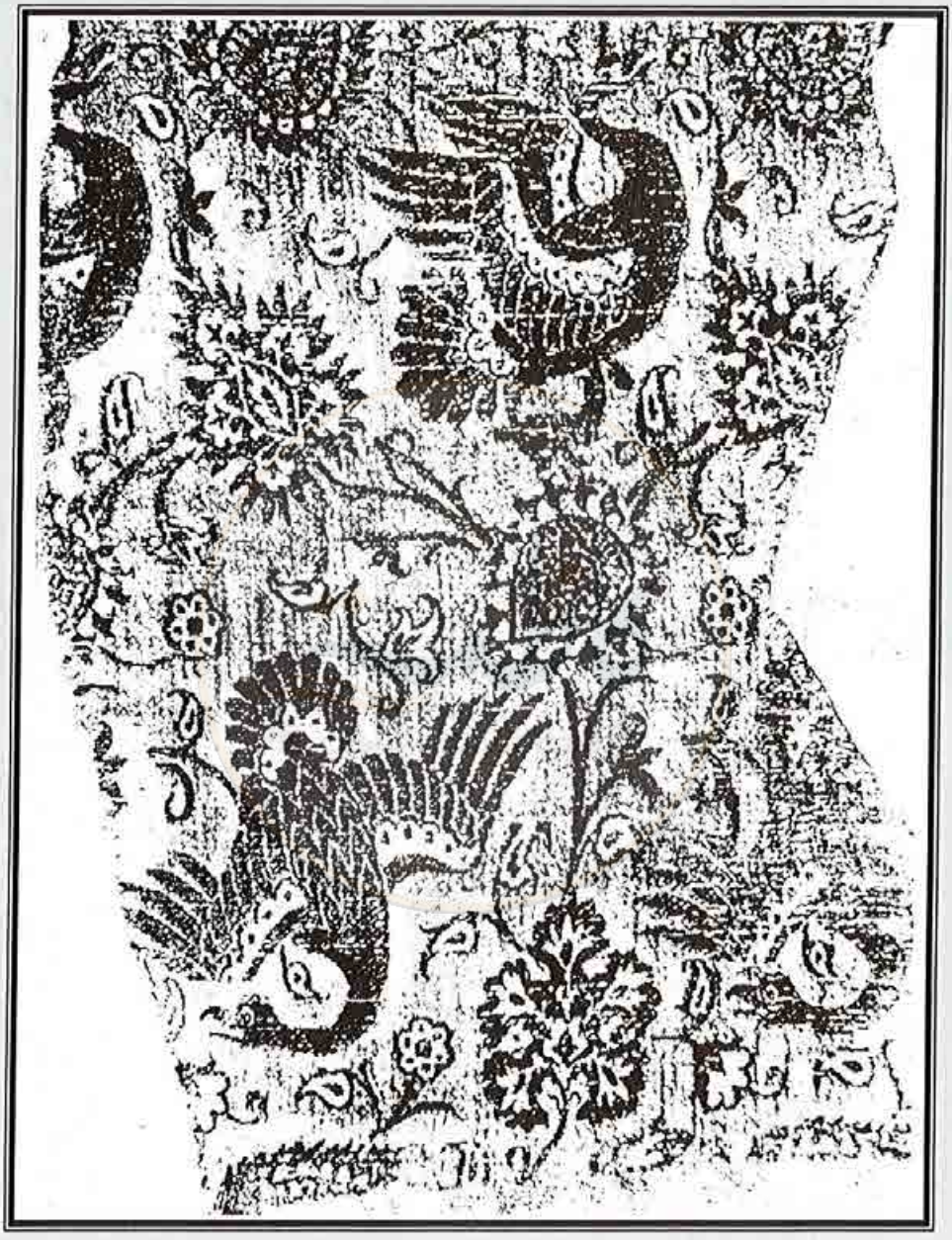

الوثيقة ١٧٧.

AL WATHEEKAH -177

The Chinese were one of the first to manufacture paper in the year 105 AD. When the Arabs captured Samarqand in 751, they captured a Chinese skilled prisoner who taught them all about paper manufacture. Muslim potters copied Chinese patterns in Samurra in the 9th century. In the excavations conducted in Fustat (in Egypt) pottery was discovered with Chinese designs on it, which belonged to the Fatmid period (909-1171 AD). The Iranians copied Chinese pottery embellishments from the 11th to 14th centuries. Huge quantities of decorative pottery were imported by Iran during the reign of Shah Abbas I (1587-1628).

In the 13th and 14th centuries the lotus, which was extensively used in Egypt, Syria and India reached China and soon entered the decorative Chinese designs. Chinese designs on velvet used the slanting embroidery than the usual vertical.

Islamic decorative art started after the fall of Baghdad to the Mongols in 1258 since it moved a way from the zone of influence of Hellenistic and Byzantine arts. Instead of human countries representation the Islamic countries more readily accepted floral and geometrical designs. The Mongol influence introduced animal motifs and the Chinese introduced legendary dragons in their turn.